



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم العلوم التربوية والنفسية

الدراسات الاولى

المادة / جرائم حزب البعث البائد

المرحلة / الثانية

عنوان المحاضرة / أثر القمع والحروب على البيئة والسكان

المحاضرة العاشرة

اسم التدريسي

م.م سحر فتاح معروف

2025-2024

أثر القمع والحروب على البيئة والسكان

تعد المشكلات البيئية التي واجهت العراق بسبب النظام البائد وسياسته القمعية على العراق من الأسباب التي أدت إلى ارتفاع معدلات التلوث وما صاحبه من اختلال كبير في التوازن البيئي بعد أن كان العراق يسمى في ماضيه (أرض السواد) لشدة خصوبته إذ يتدفق رافداه بلا انتهاء ليحولاه إلى جنة خضراء باتت أرض الرافدين اليوم تعاني من اتساع رقعة المناطق الصحراوية فضلاً عن العديد من مسببات التلوث الأخرى مثل مصانع الأسلحة العراقية السابقة في زمن النظام السابق ومواقع وكالة الطاقة الذرية واستخدام مختلف أنواع الأسلحة والذخائر في الحروب وتزايد حالات تلوث الهواء وتردي نوعيته بشكل لافت للانتباه إذ يعاني العراق من أربع كوارث كبرى تجعل البيئة العراقية واحدة من أكثر بيئات العالم خطورة وخراباً وأذى للإنسان المتمثلة بتجفيف الأهوار التلوث الحربي والإشعاعي سرقة وتدمير الآثار وموت بساتين النخيل وتجريفها.

إن الكوارث البيئية التي تصيب أوطان المعمورة يكون بعضها الأسباب طبيعية وأخرى لأسباب بشرية أن هذه الكوارث البيئية العراقية الأربع كلها جاءت نتيجة عوامل بشرية تمثلت بسياسة النظام السابق على العراق.

المبحث الأول: استعمال الأسلحة المحرمة دولياً والتلوث البيئي

تم استعمال الأسلحة المحرمة في أماكن مختلفة من العراق ومن بين أهم المدن التي أحرمت فيها النظام البعثي باستعمال هذه الأسلحة مدينة (البصرة) في جنوب العراق وفي مدينة (حلبجة) في شماله. وتعدان من أكثر المدن تعرضاً للهجوم بالأسلحة المدمرة مما أدى إلى تلوث النظام البيئي لتلك المناطق وتخريبها.

أولاً: مدينة حلبجة

تقع مدينة (حلبجة) شمال العراق، وتبعد عن الحدود الإيرانية (٨ - ١٠) أميال وعن بغداد (١٥٠) ميلاً وتقع في الجنوب الشرقي لمدينة السليمانية. لتجعل من هذه المدينة شبه جزيرة بين الماء والجبال، مما يعطيها مناخاً مناسباً ولطيفاً (٢). تعد المدينة من المحطات المهمة للمسافر من جنوب العراق ووسطه إلى شماله. وأيضاً هي في طريق القوافل المتجهة إلى تركيا وقارة أوروبا. وإن غالبية هذه القوافل كانت تحتوي في الماضي على التمر ولذلك سميت إحدى نواحي مدينة حلبجة باسم ناحية (خورمال) التي تعني مخزن التمر إذ كانت تجارة التمر هي التجارة السائدة في العصور القديمة. تعرضت المدينة التي كان يسكنها نحو ٨٠ ثمانين ألف شخص إلى القصف بالأسلحة الكيماوية أثناء الحرب العراقية الإيرانية وقد تسبب في مقتل الآلاف من أهالي المدينة، وفي وقتها ادعى العراق أن الهجوم قامت به القوات الإيرانية على البلدة في آخر أيام حرب الخليج الأولى من ١١-١٧ آذار ١٩٨٨. إذ قام (نظام صدام حسين) بإرسال عدد من الطائرات أمطرت المدينة بالقنابل الكيماوية وأدى ذلك إلى مقتل العديد من السكان غالبيتهم من النساء والأطفال ولقي الآلاف بعد ذلك مصرعهم بسبب المضاعفات الناجمة عن

استخدام السلاح الكيميائي وذهب ضحية الهجوم فوراً (٣٢٠٠ ٥٠٠٠٠) شهيد وأصيب منهم (٧٠٠٠ - ١٠٠٠٠) شخص وهي أكبر هجمة كيمياوية وجهت ضد سكان مدنيين من عرق واحد حتى اليوم في تاريخ البشرية وما يزال الكثير من عوائل الضحايا تحاول العثور على جثث أطفالها وشيوخها ورجالها الذين فقدوا أثناء القصف ويعتقد أن الغازات التي استخدمها نظام صدام حسين ضد المدينة الكردية كان من بينها (السارين) وهو مادة سائلة أو غازية مثله للعقل والجسم تسبب الموت أو التلف أو الضرر للإنسان والحيوان والنبات ، أو تكون مادة دخانية وهو قاتل في الحال إذ يعوق عمل خلايا المخ والأعصاب . وقد أكد الخبراء في السميات أن تحاليل العينات أثبتت استخدام ثلاثة أنواع من الغازات (السيانيد وغاز الخردل وغازات تؤثر في الأعصاب منها السارين) . أن هذا الغاز السام مصنف على أنه أحد أسلحة الدمار الشامل فقد حظر بشكل أساسي على أحد الأدوات المروعة للحرب.

وإن هجوم حلبجة من الأحداث التاريخية التي لا تنسى فقد كانت جزءاً من حملة صدام ضد الإنسانية. وقد تم عرض صور للضحايا ممن نجوا من الكارثة لكن بقوا معاقين ومشوهين بفعل التسمم بما يعكس فداحة الجريمة ووحشيتها المنفلتة من كل عقاب لدرجة أن النظام البيئي عامة في منطقة حلبجة ما زال يعاني من آثار التسمم الكيميائي إلى الآن وإن آثاره على الإنسان والبيئة يبقى حتى بعد عدة سنوات علماً أن بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ يحرم استخدام الأسلحة الكيميائية في ميادين الحروب.

من أبرز الأسباب الكامنة وراء تدمير معالم الطبيعة الحروب المتعددة ولا سيما الأسلحة الكيميائية التي أتلقت العديد منها ومكنت من التخريب الواسع لمعالم البيئة في أغلب مناطق العراق، أن ما تعرض له العراق من أشكال الإرهاب بكل أنواعه في زمن النظام البائد قد أحدث كارثة بيئية خطيرة انعكست على الإنسان والبيئة بصورة مباشرة إذ نجد انتشاراً للملوثات بمختلف الأشكال والأحجام ضمن بنية البيئة وعناصرها ومواردها المختلفة كما أننا نجد عبر ما نلاحظه من انقراض الموارد البيئية النباتية والحيوانية بشكل عشوائي وفوضوي ليس سوى وليد السلوك الفوضوي الذي خلفه النظام البائد، وهذا الأمر ليس سوى انعكاس للأداء السلبي الذي

مارسه في انتهاكه لقوى الطبيعة دون حساب ودون أي إدراك لما تحدثه هذه السلوكيات العشوائية من إجرام بحق الإنسان والبيئة ومواردها فاستخدام الأسلحة المحرمة كان خطراً كبيراً وخلف أضراراً لا حصر لها على عناصر البيئة كافة ، فقد قامت بقتل الإنسان والحيوان والنبات، وذلك عن طريق دخول هذه الكيمياء إلى الجسم بالاستنشاق أو التناول عن طريق الفم أو ملامستها للعيون أو الجلد وكذلك ملامستها أوراق النباتات أو تسربها لجذورها في التربة وبقايا الأسلحة الكيميائية يؤدي إلى انتقال هذه المواد المسممة إلى البيئة سواء من المياه أو عن طريق الهواء إذ يتم استنشاقها وكذلك يؤدي إلى تلوث التربة الزراعية وتلوث الموارد المالية وتنتقل هذه المواد السامة إلى الأسماك وحيوانات الماشية واللحوم والطيور ثم تنتقل إلى الإنسان عبر السلاسل الغذائية مخلفة أضراراً مختلفة.

بناء على ما تقدم يمكن ان نلخص أهم الآثار البيئية التي تعرضت لها بيئة منطقة حلبجة من عمليات تخريب وتدمير منظمة شملت جوانب عديدة اهمها تدمير مصادر البيئة كافة مما أدى إلى إبادة بشرية للمنطقة. لأن العمليات الإجرامية والسياسات غير العادلة التي مارستها الحكومة العراقية آنذاك بتدميرها الالاف من القرى والقصبات في مناطق عديدة منها ونقل سكانها قسرا إلى مجتمعات سكنية أشبه بالمعسكرات لا تتوفر فيها أبسط وسائل العيش الأساسية ورافق ذلك قطع الأشجار وحرق المزارع والغابات بهدف الغاء الحياة الريفية والبنية الاقتصادية في المنطقة اذ لا ينحصر تأثيره على الانسان والحيوان والنبات بل يمتد إلى عناصر الماء والهواء والتربة لذا كان استخدام النظام البائد للأسلحة الكيماوية في حلبجة تدميرا كاملا لجميع عناصر البيئة إذ أشارت منظمة الصحة العالمية بان الاسلحة الكيماوية التي استخدمت في الإبادة وتدمير البيئة تجاوزت الحدود المسموح بها عالميا.

ناهيك عن الآثار المادية والجسدية التي تعرض لها الناس من الإبادة الجماعية التي ما تزال آثارها مرئية من أمراض الولادة وأمراض السرطان والجروح وتشوهات خلقية لدى الاجنة وحديثي الولادة اضافة الى تعرض نساء حلبجة الى العقم والاجهاض وموت الاطفال خاصة في المناطق التي تعرضت الى استخدام كبير للسلاح الكيماوي والاشعاعات اذ لا تكفي الحروب بقتل الاحياء وتشويهم بل تمتد آثارها الى الاجنة وهم في بطون أمهاتهم وتقتلهم قبل أن يبصروا النور او تصيبهم بعاهاات وتشوهات وامراض مختلفة فضلاً عن الآثار النفسية التي ما تزال تتبع الضحايا وقد تستمر لمدة غير معروفة من الزمن تركتها تلك المأساة وترك الاثر النفسي في حالة الفرد وحياته الاجتماعية الذي سيطر عليها الحزن والاكتئاب

ثانيا: البصرة

تقع محافظة البصرة على نهر شط العرب جنوب العراق بين الكويت وايران تعد البصرة الميناء الرئيم للعراق على الرغم من أنه ليس لديها مدخل مياه عميقة. تشترك البصرة بحدود دولية مع كل من السعودية والكويت جنوباً و ايران شرقاً، والحدود المحلية لمحافظة البصرة تشترك مع كل من محافظة ذي قار وميسان شمالاً، والمثنى غرباً تزخر البصرة بحقول النفط الغنية، وبحكم موقعها إذ تقع في سهول وادي الرافدين الخصيبة، فإنها تعد من المراكز الرئيسية لزراعة نخيل التمر والشعير والحنطة ومحاصيل اخرى وتشتهر بتربية قطعان الماشية تقع على أرض اما سهلية رسوبية أو صحراوية.

ان استمرار وجود اليورانيوم المنصب في المناطق السكانية في البصرة بعد مصدر تلوث إشعاعي مستمر إذ إنه يؤدي إلى تعرض السكان مع مرور الوقت لمزيد من الجرعة الإشعاعية والسمية من المسالك البيئية المختلفة مثل الهواء فكلما هبت عواصف ترابية في المنطقة يستنشق السكان ويتعرضون لمزيد من الجرعة الإشعاعية وكذلك من السلسلة الغذائية والماء مما يؤدي زيادة الجرعة الإشعاعية وتراكمها في جسم الإنسان .

نتيجة السياسات العشوائية للنظام البائد استخدمت القوات المسلحة الأمريكية والبريطانية ذخائر اليورانيوم المنصب في مناطق مأهولة بالسكان خاصة في جنوب العراق مما أدى إلى تلوث المناطق بالمواد المشعة التي يعتقد انها بقايا اليورانيوم المخصب الذي استعمل كذخيرة خلال الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠ والقصف الأمريكي في حرب الخليج الثانية ١٩٩١ واحتلال العراق عام ٢٠٠٣ أجريت دراسات حول تقييم المخاطر الصحية للمناطق المكتظة بالسكان التي تبلغ مساحتها نحو ١٢٠٠ كم وتشمل مدن سفوان والزبير وغرب البصرة) والتي تعرضت لجرعات إشعاعية عالية بسبب تلوث اليورانيوم المخصب أوضحت نتائج هذه الدراسات أن أهم مصدر للتعرض الإشعاعي في هذه المناطق هو استنشاق هواء اليورانيوم المخصب وأكاسيده في الأشهر الأولى من العمليات العسكرية لعام ١٩٩٠ وأستمر انبعاث اشعاعات اليورانيوم المخصب وأكاسيده من مواقع الآليات العسكرية المدمرة جنوب وغرب البصرة والناصرية. إن اليورانيوم عنصر ثقيل فضلاً عن انه عنصر مشع، فإن التسمم به كبقية العناصر الثقيلة داخل جسم وأمراض السرطان. الإنسان يسبب مشاكل صحية تتمثل بالتسمم الحاد باليورانيوم والضعف الصحي العام والتشوهات الخلقية استعملت أسلحة اليورانيوم المخصب بكثافة لتدمير الدبابات والمعدات العسكرية لقطع الجيش العراقي التي كانت تتسحب من الكويت، واستمر هجوم القوات العسكرية الأميركية وحلفائها داخل المناطق والمدن

المكتظة بالسكان من بينها البصرة, ومن مصادر التعرض الأخرى للإشعاعات التعرض لشظايا الدروع المدمرة المتأينة ونويدات سلسلة انحلال اليورانيوم المنبعثة منها مثل الثوريوم، والراديوم وغاز الرادون وكذلك من التربة الملوثة المتبقية بالقرب من الأهداف المدمرة بهذه الأسلحة إذ إنها بقيت في مناطق البصرة وما حولها مدة طويلة، ثم بدأت حملة إخلائها وتجميعها في مناطق قريبة سميت مقبرة الدبابات.

ويمثل استخدام الذخيرة التي تحتوي على اليورانيوم المنصب تهديداً كيميائياً كبيراً من الممكن أن تلوث آلاف الهكتارات الزراعية بالمواد الخطرة في أعقاب الصراع الحربي فزادت العوالق وتراكيز الملوثات في مصب شط العرب والمياه المحيطة به فضلاً عن تلوث المياه الجوفية مما زاد في تلوث مياه الآبار المستخدمة في سفي جميع المحاصيل الزراعية وقد أكد خبراء البيئة والصحة، أن "هناك أكثر من اثني عشر موقعا ملوثاً في محافظة البصرة بمادة الكاديوم وملوثات بيئية أخرى مختلفة وتلوث بيئة المحاصيل الزراعية بسبب السقي بالمياه الملوثة ولاسيما في قضاء الزبير وبذلك يلاحظ ان هذه الأسلحة والذخائر الملوثة باليورانيوم تركت أثراً كبيراً على صحة المواطنين في هذه المحافظة الجنوبية.

المبحث الثاني: سياسية الارض المحروقة

تعد سياسية الأرض المحروقة إحدى الطرائق والوسائل البشعة التي تم إتباعها لتدمير بيئة العراق وهي في الأساس مصطلح عسكري أي سياسة عسكرية تقوم على إحراق كل ما يمكن أن يستفيد منه العدو في عملياته العسكرية مثل عمليات التوغل والحصار والسيطرة. تشتمل تلك المنظومة العسكرية على خطة التدمير الكامل لأي وسائل عسكرية أو لوجستية من الممكن أن تستفيد منها القوات المعادية مثل

الأسلحة العسكرية والطرق الممهدة للثكنات العسكرية أو المدنية التحصينات والخنادق والمزارع كيلا يستفيد منها العدو في تقديم المؤن الغذائية ومصادر المياه العذبة من آبار ومياه مخزنة بل وصل الأمر في بعض الأماكن إلى تلوث مصادر المياه العذبة وتدمير الآبار النفطية وحرقها لكي لا يتمكن العدو من الاستفادة منها. إذ تم إحراق أو تفجير أو تسميم مياه الشرب أو ردم الآبار أو إحراق المحاصيل الزراعية أو قتل الماشية والحيوانات أو تدمير المون الغذائية وحرقها من جراء عمليات زراعة الألغام للأراضي كي تؤثر في الحياة البشرية لأنها تقع في المناطق السكنية مما يؤدي الى تعرضهم للهلاك. مهما كانت الدوافع أو الأبعاد فإن التاريخ مليء بالكثير من هذه الأحداث التي طبقت بها هذه النظرية المدمرة غير الإنسانية سواء قديما أو حديثا إذا إن تلك الأساليب لسياسة الأرض المحروقة يمكن تفسيرها بتدمير مقومات الحياة البشرية كلها حتى تتحول الأرض إلى منطقة دمار لا حياة فيها.

واستعملت هذه الاستراتيجية كثيرا في العراق للأسباب التي ذكرت وايضا لتفادي اجهزة الرؤية الحرارية والصواريخ الموجهة بصريا وحراريا اذ امر النظام البائد بحرق ابار النفط الكويتية بعد انسحابه منها ١٩٩١ از قامت القوات العراقية قبل انسحابها من الكويت بتفجير ما يقارب (١٠٧٣) بئرا نفطيا، مما أدى إلى إحتراق نحو -(٧٣٧) بكرة مسببا غيمة سوداء غطت سماء الكويت ومناطق وسط العراق وجنوبه والدول المجاورة لهما. وخلفت ما يعرف بالأرض المحروقة التي سببت خسائر كبيرة واضرار بيئية لكلا الدولتين.

المحور الأول: معركة نهر جاسم وتأثيرها على البيئة

جرت المعركة للمدة من 8 يناير ١٩٨٧ وحتى ٢٦ فبراير ١٩٨٧ وتعد أكبر معركة في الحرب العراقية الإيرانية من ناحية الخسائر المادية والبشرية اذ تم عمل حاجز صناعي هو عباره عن بحيره اصطناعيه سميت بـ (بحيرة الاسماك) وقد تم جلب الماء لهذه البحيرة من شط العرب عن طريق قناة مائية تسمى "نهر جاسم" إذ تم كهربة مياه البحيرة وحفر الخنادق والملاجئ وحقول الألغام والأسلاك الشائكة حول النهر كما تم وضع المدفعية والدبابات في الخطوط الخلفية وبذلك تركت تلك المعركة مخلفات واثار بيئية كبيرة وطويلة الأمد لذلك النهر إذ تلوث النهر بمخلفات الحرب من المتفجرات والألغام ورفاة الموتى واختلط ماء النهر بدماء الضحايا وبمخلفات البترول الناتج من انفجار وحرق الحقول النفطية القريبة منه وانخفض منسوب الماء لدرجة كبيرة وزاد وضعه سوءاً وعدم رفع الأوحال المستقرة في قاع النهر بسبب الألغام أدى بهذه المواد إلى أن تصبح سامة فتأكسد بقايا الأسلحة وتفاعل النفايات الصناعية والطبية تولد سموماً قد تبقى نشطة لعقود وتنفذ إلى أجسام الناس وكل هذا قد يتسبب بانتشار حالات سرطانية بين الناس الذين يعيشون بالقرب من النهر ويعتمدون عليه في معيشتهم. كما قد يؤدي ذلك إلى زيادة انتشار الأمراض المنقولة عن طريق المياه الملوثة.

